النعمة والحق

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الثامنة والعشرين

سبتمبر وأكتوبر ٢٠٢٠

العدد ١٦٧

فى هذا العدد :

افتتاحية العدد	تصالحوا	١
موضوع العدد	عدم التجانس بين أفراد المؤمنين	٢
موضوع العدد	عدم التوافق بين المؤمنين	٥
موضوع العدد	حلول عدم التجانس بين المؤمنين	٧
موضوع العدد	قلب نعمة أثناء عدم التوافق	١٥
الأخبار السارة	ليس سواه	٢١
شخصية كتابية	حياة بولس	٢٢
تأملات هادئة	----	٣٢
من روائع الكلمة	وحدانية الروح	--

قد نختلف في أمور كثيرة لكن ما لا خلاف عليه أن المسيح هو المخلص الوحيد لنا ...

اقرأ الأخبار السارة

ص ٢١

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ١٥ جنيهاً أو ما يوازي ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gtmag@ilovejesus.net
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١- الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملا.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢٧٤٠٣٥ – الإسكندرية (٠٣).

تصالحوا

إن كلمة مصالحة ترد كثيرًا في الكتاب متعلقة «بالرؤساء» (١صم٢٩: ٤) و«الأزواج» (١كو٧: ١١) و«مصالحًا العالم لنفسه» (٢كو٥: ١٨) الكنيسة لله (ع٢٠) أولئك «البعيدين» و«القريبين» أي الأمم واليهود (أف٢: ١٦) و« كل شيء متضمنه» «أجنبين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة» إلى الأبد (كو١: ٢٠، ٢١).

ونحن مديونون لله بالشكر من أجل عمله الصالح الذي عمله لنا، إذ بسبب قلوبنا وطرقنا الشريرة وبعد أن كنا أعداء ولسان الحال معه - له كل المجد - كاد يقول لنا «ابعدوا» (مت٤: ١٠) وبعدل كاد يقول ذلك لنا، إلا أن قلبه المحب لم يقل لنا ذلك، ولن يقول أبدًا.

وهناك بعض النصوص الكتابية التي توضح تكلفة عمل المصالحة لنفسه: بدمه....بموت ابنه" (رو٥: ٩، ١٠) «بيَسُوعِ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ. إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ. لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا» (٢ كو٥: ١٨-٢١) «بجسده» (اف٢: ١٥) «بدم صليبه(الابن)....في جسم بشريته بالموت» (كو١: ٢٠، ٢٢) عمل الله هو فوق الكل وبالإضافة إلى كل ذلك فقد عجزنا عن المصالحة مع الآخرين.

ونحن كمؤمنين وقد علمنا أن شركتنا مع الله أبينا والرب يسوع المسيح، لا يسعنا بقلوب شاكرة؛ أما عن أولئك الذين لم يقبلوا هبة الله للخلاص ولم يتصالحوا معه، ألا يفعلوا ذلك الآن؟ «آمن بالرب يسوع فتخلص» (أع١٦: ٣١).

عدم التجانس بين أفراد المؤمنين

تعلمنا كلمة الله بأن لا يستطيع اثنان أن يسيرا معًا إن لم يتواعدا (عا٣:٣). وماذا يعني أن يتفق أو العكس؟ الأولي يحدد موقفًا معينًا أو يرتبط بمعني الاتفاق علي رأي معين في شيء معين، والعكس صحيح. ولكن كلمة الله لا ترد فيها الثانية بل القاعدة هي المبدأ الأول.

إلا أننا -عزيزي القارئ- سنتناول: كيف نعالج عدم الإنسجام بين المؤمنين. وإن كنا نجد تشابه المبادئ بين عامة الناس؛ إلا أننا سنركز اهتمامنا بالعلاقات بين المؤمنين. ومن خلال كلمة الله؛ التي نجدها مليئة بقصص الكثيرين لم يتفقوا في رأي موحد من سفر التكوين حتى سفر الرؤيا.

موقفنا

ربما يكون أمرًا ما؛ هو حاجتنا أن نفكر في أنفسنا حينما نختلف مع غيرنا في موقفنا. فكاتب الأمثال يقول: «مَنِ ازْدَرَى بِالْكَلِمَةِ» (أم١٣: ١٣). ويكون تساؤلنا: ما هي بواعث قلوبنا؟ هل نحن حقيقة نهتم بموضوع عدم التوافق أم يعنينا أكثر أن الشخص لا يتوافق معنا؟

إن الافتخار يبين نفوسنا أفضل من الغير. فالرب يبغض الكبرياء (أم٨: ١٣) ومن جهتنا يقول كاتب الأمثال « تَأْتِي الْكِبْرِ يَاءُ فَيَأْتِي الْهَوَانُ» (أم ١١: ٢) وإذا كنا لا نتوافق، فحاجتنا هي أن نفكر قلبيًا ونقيِّم الموضوع عما إذا كنا نفكر أفضل من الغير أم أننا نعرف أفضل منه.

وعكس الزهو؛ التواضع: الذي يعني وضع نفسي في درجه أقل من الغير وأرى غيري في وضع أفضل من ذاتي. والرب يسوع علمنا أن نكون متواضعين كالطفل الصغير (مت١٨: ٤) والمتواضعون يرتفعون (مت٢٣: ١٢) وهو له المجد «يعطي المتواضعين نعمة» (يع٤: ٦) ونحن نفترض بأن يكون لنا روح الوداعة حينما نتعامل مع المؤمنين (غل١: ٦) وحينا يكون لدينا عدم توافق مع أحدهم فأول كل شيء يجب أن نسأل أنفسنا: هل لدينا موقف صحيح من نحو الغير الذي لا نتوافق معه؟

هل الموضوع يستحق كل التعب:

أحياناً نجد نفوسنا بين أمرين: أحدهما يهمنا حقيقة، والآخر نجد نفوسنا تعارضه مع أحدهم عن أمر لا يهمنا فحذاري حينما يبدأ النزاع أو الجدال مع أحدهم؛ فإن الأمر يشبه شخصا يخرج الماء بتدفق (أم١٧: ١٤) فإذ يبدأ فقد يكون متدفقًا بسرعة أو أكثر مما نتصور. هل حدث لك نزاع مع شخص بخصوص موضوع مما أسلفت له سابقًا؟ ربما يكون هناك اعتراض صغير تحوّل إلى مناقشة حادة؟ فإن القرينة السابقة تحذرنا من البدء في نزاع. ونحن في حاجة أن نفكر في أن الموضوع من الأهمية بمكان فمنذ البداءة يتحول الموقف إلى الأسوأ وقد قال الرب - له المجد - « كُنْ مُرَاضِيًا لِخَصْمِكَ سَرِيعًا» (مت٥: ٢٥) حينما تكون الأمور معنا ليست من الأهمية بصفة خاصة.

ويجب علينا أن نضع النهاية في أذهاننا. فمثلاً بولس وبرنابا حينما قررا أن يرافقهما مرقس في رحلتهما اختلفا فيما بينهما (أع١٥: ٣٦-٤١) وربما بدى الاختلاف بسيطًا مما أدى إلى أن اتجه كل منهما في اتجاه مختلف عن الآخر. وقد يكون أحدهما على حق. وفيما نؤكد بذلك أن الاختلاف يضع تساؤلاً هل هذا يستحق. ذلك في بعض الأوقات ولكن ليس غالبًا.

هناك بعض المسائل نحتاج فيها إلى الاختلاف:

أحيانًا، هناك بعض الأمور المعاكسة نحتاج فيها أن نقف فيها موقفًا معينًا. تأمل - عزيزي القارئ - الاختلاف الواضح بين الغلاطيين بخصوص بولس وبطرس (غل٢: ١١-١٤) في هذه الواقعة نجد بطرس يتصرف حسنًا فيما كان يتعامل مع مؤمني غلاطية. إذ كان يأكل معهم وحينما زاره بعض اليهود يأكل مع مؤمني غلاطية. فبولس لام بطرس لأنه غيّرَ سلوكه علانية فكانت خطيته واضحة. فبولس اختلف وأوضح ذلك لبطرس. بولس هنا لم يعمل بدافع غروره بل لأن بطرس فعل أمرًا خاطئًا سبب أذية لمؤمنين آخرين.

في مناسبات عدة نجد أن الرب يسوع اعترض علانية. فبطرس في مت ٢٦ قال للرب بأنه سوف لا ينكره؛ إلا أن الرب اعترض أمام كل التلاميذ. فها هو على مرأى الجمهور يعترض. من ذلك نرى بأن هناك مناسبات من الصواب الإعتراض علانية.

في تيموثاوس الثانية نجد بأن هناك أوقات يجب علينا أن ننفصل عن المؤمنين الذين لا نتوافق معهم في الحياة بالارتباط بكلمة الله فمن المؤسف أن عدم التوافق يصل إلى ذلك الحد. وفي هذه الحالات نحتاج أن نتيقن بأذنا لا نتوافق مع عواطف قلوبنا. والهدف في هذه الحال بأن الله سيعطيهم «توبة لمعرفة الحق» (٢: ٢٥).

□

ميلتون جاميسون

عدم التوافق بين أفراد المؤمنين

«هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعًا» (مز ١٣٣: ١) هذه هي رغبة الرب، إلا أن الطبيعة البشرية وميولها على الضد مما هو متجانس مع الله والرب يسوع المسيح- وحياة المؤمنين تتصور في الرب يسوع المسيح.

لقد أخبرنا الرب - له المجد -أنه ستأتي العثرات «وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلاَ بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ» (مت١٨: ٧) فإن الحروب والنزاعات تثور في العالم بسبب الخطية.

ولئن نرى ذلك بين المؤمنين، فإننا نعلم بأن مصدرها طبيعة الجسد الذي فينا. ولقد تساءل يعقوب في رسالته «مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟» (يع٤: ١) بصرف النظر عن قايين الذي تصرف تصرفًا شريرًا وقتل أخاه،. فإن أول نزاع شب نجده بين رجال من الكتاب؛ كان بين رفاق أبرام ولوط (تك١٣: ٥-٩) «وَلُوطٌ السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ، كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ. وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا، إِذْ كَانَتْ أَمْلاَكُهُمَا كَثِيرَةً، فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا. فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفَرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الأَرْضِ. فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُوطٍ: لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ، لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. أَلَيْسَتْ كُلُّ الأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالاً فَأَنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَأَنَا شِمَالاً».

إنني لا أظن أنه من بداية عدم التوافق؛ كان العلاج هو الانفصال. ولست أظن بأن الانفصال كان أول فكر جاء لأبرام. إلا أنه حينها فشلت كل الوسائل التي مورست ولم يتبقى في النهاية إلا الانفصال. هنا نجد أبرام رجلاً روحيًا إذ كان اهتمامه هو أن يكرم الرب في قلبه فنجده يأخذ المبادأة في إحلال السلام والتجانس الروحي. إنه رجل ليس يخسر شيئًا في العالم وليست له خططه الخاصة بل بالحرى غرضه هو رغبات الله شخصيًا.

كان اهتمام أبرام هو الشهادة لله. وكُتب بأن الكنعانيين والفرزيين كانوا ساكنين في الأرض. و يجب أن نحمل في ذاكرتنا دائمًا أن العالم ينظر ما نعمل. وبالمناسبة هناك تساؤل: مِلكُ مَنْ هذه الأرض؟ هل هي ملك لوط؟ كلا. فالرب أعطاها لإبرام الذي كان على استعداد للتخلي عنها ليكون السلام وافرًا بينهما: أبرام ولوط. وهذا هو طريق الإيمان: التخلي عما هو يعتبره الناس حقًا لهم.

والقديسون في كورنثوس لم يعيشوا كأخوة لكنهم كانوا يذهبون إلى المحاكم لتصفية قضايا عدم التوافق و كان هذا ضدًا لأذهانهم الروحية لكل فرد.. و قال الرسول بولس « لِتخْجِيلِكُمْ أَقُولُ. أَهكَذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ حَكِيمٌ، وَلاَ وَاحِدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ إِخْوَتِهِ؟ لكِنَّ الأَخَ يُحَاكِمُ الأَخَ، وَذلِكَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ!. فَالآنَ فِيكُمْ عَيْبٌ مُطْلَقًا، لأَنَّ عِنْدَكُمْ مُحَاكَمَاتٍ بَعْضِكُمْ مَعَ بَعْضٍ. لِمَاذَا لاَ تُظْلَمُونَ بِالْحَرِيِّ؟ لِمَاذَا لاَ تُسْلَبُونَ بِالْحَرِيِّ؟ لكِنْ أَنْتُمْ تَظْلِمُونَ وَتَسْلُبُونَ، وَذلِكَ لِلإِخْوَةِ!» (١كو٦: ٥-٨) لماذا أبحث عن أحدهم ليعرف أنني في الجانب الصواب وأخي هو المخطئ؟ أليس ذلك من طبيعتي الفاسدة وتشامخ القلب؟ لماذا لا أتخذ موقف مَنْ يخسر لكي أتنازل لأخي؟ وهل الأمور الأرضية ومديح الناس والشهرة أغلى عندي من المسيح وأخي المؤمن؟ إن الافتخار لا يأخذ مكانًا متواضعًا، ولا يستطيع أن يقول "آسف" أو "أنا مخطئ"! بل يجب «البسوا المسيح» لكي تكونوا ودعاء، نعتذر ونعترف بالخطأ. إن الأمر يحتاج وداعته لكي أرى أخي أو أختي أفضل مني.

إذا لم يكن شعوري إنني استطيع أن اقول أو افعل شيئًا حسنًا؛ فإن قلبي حينئذٍ يكون متعجرفًا. إنني في حاجة أن تتواضع نفسي أمام الرب وأمام أخي وأعتذر. قد يكون بين بعضنا البعض عدم توافق، بل لنحترس من أن نضع أحدًا أو يكون في شخصه غضوبًا أو يشعر الآخرون بأنهم يجب أن يسيروا بحرص كما على قشر البيض كما يقول المثل.

إذا ملأ المسيح قلوبنا سيجعل الأمور ميسورة. ليت كل منا يسمح للرب يسوع أن يصبح بحق سيدًا لحياتنا. ولنبتسم لحالات عدم التوافق ونجعلها تعمل لمجد سيدنا ومخلصنا الرب الذي له المجد.

□

حلول

عدم التجانس بين المؤمنين

إن الله - إلهنا - هو إله السلام والمصالحة. وتتضمن المصالحة استرداد العلاقة الحقيقة للفرح. وهنا يبرز التساؤل "كيف نتعامل مع أي نزاع بين المؤمنين لكي تتم المصالحة بين الفرد والآخر؟

حالما نبدأ قراءة الكتاب نرى أن الله يريد المصالحة، فوصل إلى آدم الذي اختبأ. إنه يريد أن تنشأ المصالحة بينه وآدم الأول إذ أخطأ وصار عدوًا لله. فهي مشكلتنا ولكنه - تعالى- تدخل وأعد حلاً برغم من تكلفته الغالية له ولابنه: الرب يسوع ولكي تتم المصالحة كان الرب - له المجد - يعلق فوق الصليب و يدفع أجرة خطايانا أمام الله القدوس البار الذي لديه رغبة لكي يُعد لنا الطريق إليه. و هذا هو أكبر برهان لرغبته - تعالى - للمصالحة.

وبالرجوع إلى ما فعله - تعالى - فهو قد عرض علينا أن نتصالح ضمن جميع المؤمنين. وفي الحقيقة فإن الرب - له المجد - علّمنا - في ما نطلق عليه موعظة الجبل -حينما لا نغفر لمن أخطأ إلينا، كيف يجوز لنا أن نتوقع غفران الله لنا؟ (متـ٦: ١٤، ١٥). كيف تكون لنا حالة الغفران حينما نفكر بان الله صالحنا لنفسه؟ والرب - له المجد - يشير بأن المصالحة مع الأخ المخطئ أهم من السجود وتقدمة الذبيحة (متـ٥: ٢٣، ٢٤).

النزاع في الكتاب

يعطينا الكتاب أمثلة عديدة لمظاهر النزاع بين أفراد العائلة و بين أفراد المؤمنين من خلالها نرى نتائجها وحاجتنا للمصالحة. فكان النزاع بين قايين وهابيل القاسي الذي أدى إلى قتال فتاك. وهناك نزاع آخر بين إبراهيم و لوط، و سارة و هاجر، وعيسو ويعقوب وفي كل منها أدى إلى الانفصال و هي كلها في سفر التكوين وإذ نتقدم في العهد القديم نجد أيضًا بين أيوب وزوجته ثم بينه و بين أصحابه الثلاث، وبين داود وابنه أبشالوم وبين الملك شاول وداود.

وبحزن؛ نجد أجزاء من العهد الجديد فيها النزاع أيضًا. فكان بين التلاميذ الذين رغب منهم من يكون الأعظم في الملكوت. ثم واجه بولسُ بطرسَ ولامه من جهة نقاء التعليم، كما وكانت هناك مشاكل بين جموع كنيسة فيلبي وما كان بين أختين وبين سيد وعبده الهارب الذين توسط بينهما بولس.

مفاضلة الكفاح من أجل الإيمان

بعض النزاعات تكون موجودة ولا يمكن تجنبها. فقد كتب يهوذا: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِذْ كُنْتُ أَصْنَعُ كُلَّ الْجَهْدِ لأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنِ الْخَلاَصِ الْمُشْتَرَكِ، اضْطُرِرْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ وَاعِظًا أَنْ تجْتَهِدُوا لأَجْلِ الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ»(١: ٣) من هذا وموضوع المواجهة بين بولس وبطرس (غل٢: ١١-١٤) نرى أن هذه النزاعات لم تكن من الطبيعة الشخصية ولكنها متعلقة بالاجتهاد من أجل الإيمان . و عن تقرير بطرس من جهة بولس «الأخ الحبيب بولس» (٢ بط٣: ١٥) نفهم بأنه لم تكن بينهما مشاعر قسوة ولكنه تصحيح واجب، وهذا التصحيح لازم وصحي يتم بشكل صحيح.

نزاع شخصي:

هذا النزاع الشخصي ضد ما سبق ذكره في خلاف روحي، وبكل أسف غالبًا ما نراه بين المؤمنين. والعلاج بسيط وإن كان شاقًا. والمثال الكامل في ربنا يسوع المسيح ونحن نتحذر من الحياة بموجبه «تفتكِرُوا فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا، لاَ شَيْئًا بتحَزُّبٍ أَوْ بعُجْبٍ، بَلْ بتوَاضُعٍ، حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. لاَ تنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا. فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في٢: ٢-٨) الحل البسيط والشاق للنزاع الشخصي هو التواضع.

حينما ينشأ نزاع ما؛ يجب علينا أن ندرك أنه يؤثر ليس فقط على نفوسنا بل أيضًا ولو على محيط ضيق ممن حولنا. فنزاع ابشالوم مع أبيه داود أثر على كثير من الشعب وأدى إلى حرب في إسرائيل (٢ صم١٥-١٨) وفيما يتعلق بفليمون فالأمور المتعلقة باندسيموس أثرت على أهل البيت. وفي كورنثوس نجد أن شخصًا سبب شهادة رديئة للكنيسة المحلية وما حولها (١كو٦: ١-٨) ونزاع أضيق في فيلبي أثر أيضًا في الكنيسة المحلية (في ٤: ٢، ٣) لقد افتقدت السعادة والسلام. نعم إن النزاع الشخصي ممزق ومُدمر ومزعج لكثيرين.

تأثيرات مستمرة:

تكون للنزاعات تأثيرات مستمرة غن لم يتم علاجها في وقتها. فمثلاً بعد أن باع أخوة يوسف أخاهم كعبد بقوا سنين عديدة في حزن شديد لوأدهم وخطيتهم كما نفعل نحن عادة. فقد حاولوا وضع حد لتلك الحادثة من أذهانهم بقدر الإمكان. ولكن بسبب المجاعة ذهبوا إلى مصر ليبتاعوا طعامًا للعائلة وكان لهم نزاع مع الحاكم، وهو لم يكن معروفًا لديهم؛ أخاهم يوسف. هذا الموقف دفعهم ليتأملوا مشكلتهم في ذلك الوقت بسبب ما فعلوه بيوسف منذ عشرات السنين. وفي الاصحاح الأخير من سفر التكوين، يخبرنا بأن حين مات والدهم، هابوا أخاهم من أن يقابلهم أو يوجد معهم.

وفي ٢صم١٣ نجد أن خطية أبشالوم أخو أمنون اقترفت لأخت أبشالوم وهي ثامار اختمرت في قلب أبشالوم لأن المشكلة لم تكن قد سويت. وبعد سنوات عديدة حينما جاءت الفرصة قُتل أبشالوم - في انتقام - آمنون.

ثم خداع يعقوب لأخيه عيسو بسرقة البركة من والده؛ جعل يعقوب يهرب ولم يرى والدته مرة أخرى لأنها ماتت قبل عودته وحين اجتمع الأخوان فيما بعد؛ خاف يعقوب من ذلك متوجسًا من مواجهتهما طبقًا لما في تك٣٢.

وفي العهد الجديد (لو١٥) نقرأ عن أن أنانية وفشل الابن الضال عند عودته ملأ الاخ الأكبر مرارة في قلبه تجاهه وحرمه أبوه من التمتع بفرحة عودة الأصغر.

مما سبق من أمثلة نجد أن المتضايق وكذلك من ضايق - كليهما - مرتبطين بنفس المشاعر. فهل من واقع اختبارنا الشخصي أن الأمر كذلك؟ لذلك فمن الأهمية بمكان أن نتخذ خطوات للمصالحة.

وصايا الرب:

لقد قدم الرب وصايا لكل من الذي يضايق والذي يقع عليه التضايق. عليهما أن يسعيا لطلب المصالحة كما في مت٥: ٢٣، ٢٤ «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» و هذا يقودني إنني حينما أقدم ذبيحتي، سجودي، صلواتي للرب وتذكرت أن لأخي شيء عليّ؛ إنني ضايقته، حينئذٍ أذهب إليه لأحل الموضوع قبل تقديم الذبيحة. فالمصالحة أكثر أهمية للرب من الذبائح.

في ع٢٣ نجده يبدأ بالقول « لذلك» و هو حرف عطف لما قبله « سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. ٢٢وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ» (٢١، ٢٢) وتطبيقًا لذلك نفهم بأن القتل يبدأ من القلب مع أفكار رديئة. والرب يريدنا أن نتقدم لأخينا ونتصالح معه وهكذا فإن الأفكار الرديئة لأخي من جهتي لا تتطور إلى أمور أكثر خطورة. إذها مسئوليتي أن أذهب إليه لأطلب المصالحة فيكون قلبه أكثر نقاءً من جهة الرب و من جهتي. حتى و لو لم يكن لدى شيئًا ضده، إذها مسئوليتي أن أذهب إليه.

ومن جهة أخرى، إن اخطأ إليَّ اخي فهي مسئوليتي أيضًا أن أذهب إليه وأتكلم معه وأفعل ما بوسعي لكي أتصالح معه؛ ففي مت١٨: ١٥-١٧ نقرأ: «وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ، لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ

ثلاثةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ».

مما سبق يتحقق لنا مثال الراعي الصالح الذي يفتش عن الضال. فهو يبحث ويجِدّ في البحث حتي يجد الضال. هذا هو موقفنا لكي نبحث للمصالحة مع من ضايقنا وأخطأ إلينا. ومن مت١٧، ١٨ نجد الوداعة عنصر رئيسي لتصرفاتنا وهو عنصر أساسي لإجراء المصالحة. وهكذا إذا اخطأ إلي أخي فهي مسئوليتي أن أذهب إليه لأطلب باجتهاد وجد ووداعة لأربحه.

وقد نقع في ورطة بالصدفة، إذ ان ١كو١٠، ١١ تعلمنا بأن هناك وحدة بين المؤمنين حين السجود أو الشكر. ومع ذلك نتساءل: هل هي من الأمانة للرب واحترامه حين نجلس معًا لكسر الخبز ونتناول العشاء مع أي أخ أو أخت ضايقتهم أو ضايقوني؟ فهل هذا رياء فيما أفعل؟ إن الرب يريد أن تكون مصالحة بين بعضنا البعض.

فليمون:

سبق وذكرنا سابقًا عن محبة الله ببذل ابنه بغرض مصالحته لنا. فقد دفع الثمن الغالي والذبيحة قُدمت لتحقيق هذه النهاية. ومن قراءة خطاب بولس لفيمون نرى توجه وإرادة الرسول ليعمل المصالحة بين أنسيمس وفليمون حتى أن بولس كان على استعداد ليدفع ما هو ضروري لإتمام ذلك.

أنسيمس كان عبدًا لفليمون، كان قد هرب، ووصل إلى روما. وهناك التقى ببولس وأصبح مؤمنًا وطبقًا للقانون الروماني كان يجب أن يرجع إلي سيده، الذي له أن يطلقه إن أراد. وإذ أدرك بولس ذلك جيدًا، أصر أن يرجع أنسيمس إلى سيده بالرغم من النتائج.

وأرسل بولس مع أنسيمس خطابًا لفليمون يعلمه بأنه يعلم أن أنسيمس مجرم وطلب من فليمون من أعماق قلبه أن يصفح عنه. وطلب إليه عالمًا مستواه وهو يعلمه بأنه يفعل ما يجب أن يعمله المؤمن: الغفران والمصالحة مع أنسيمس. وإن ذلك أمر ذو تكلفة، وعرَض بولس أن يدفع لفليمون ما أخطأ به انسيمس ويقبله كشخصه بالتمام. وياله مثالاً جميلاً للمصالحة مقدمًا الثمن المقدر.

إذا لم نستطع المصالحة:

بالرغم من أنه من الواضح أنها مسئولية كل واحد منا أن نتصالح مع إخوتنا وأخواتنا؛ فالله يعلم قساوة قلوبنا. في مت١٨ رأينا انه لم يكن ممكنًا أن نكسب أخانا. وفي رو١٢: ١٨ نقرأ: «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ» وهذا يشير بأن هناك أوقات لا نستطيع أن نكون في سلام مع كل شخص ولكن العبء والحمل الشاق من جانبنا في أمانه وإيمان قدام الله بأن نكون في سلام مع الكل.

إذا ما فعلنا كل ما نستطيع ولم ننجح؛ فماذا نفعل؟ إن تعاليم الرب - له المجد - واضحة: يجب مسامحه كل واحد لصاحبه ليس مرة أو اثنتين بل «سبعين مرة سبع مرات» (مت١٨: ٢٢) أننا نحتاج أن نغفر إذا لم يطلب الجانب الآخر المصالحة. لكي نوقف التذمر أو الشكوى ضد أخينا التي تربطنا به الوشائج؛ لا تعطي سلامًا وتقودنا في طريق عكسي يكلفنا كثيرًا.

ولنتأمل يوسف في موقفه، لقد اخطأ وباعه أخوته عبدًا، والمصالحة - إنسانيًا - كانت مستحيلة. وإلا أن ذهنه كان مليئًا بسلطان الله ويثق به كلما تذكر عائلته ونجد ذلك في الأسماء التي دعي بها أولاده «وَوُلِدَ لِيُوسُفَ ابْنَانِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ سَنَةُ الْجُوعِ، وَلَدَتْهُمَا لَهُ أَسْنَاتُ بِنْتُ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ. وَدَعَا يُوسُفُ اسْمَ الْبِكْرِ

«مَنَسَّى» قَائِلاً: «لأَنَّ اللهَ أَنْسَانِي كُلَّ تعَبِي وَكُلَّ بَيْتِ أَبِي. وَدَعَا اسْمَ الثَّانِي «أَفْرَايِمَ» قَائِلاً: لأَنَّ اللهَ جَعَلَنِي مُثْمِرًا فِي أَرْضِ مَذَلَّتِي» (تك٤١: ٥٠-٥٢).

وأخيرًا حينما جاء أخوة يوسف إلى مصر لشراء الطعام، تعرف عليهم ولكن لم ينتقم منهم لأنه جعل كل شيء في يدي الله. وهذا يتضح لنا بأجلى بيان في كلماته لأخوته بعد سنوات عدة «فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: لاَ تخَافُوا. لأَنَّهُ هَلْ أَنَا مَكَانَ اللهِ؟ أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا. فَالآنَ لاَ تخَافُوا. أَنَا أَعُولُكُمْ وَأَوْلاَدَكُمْ. فَعَزَّاهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ» (تك٥٠: ١٩-٢١).

وعاش يوسف في سلام سنوات عدة واثقاً بالله بالرغم مما فعله أخوته من شر. أما إخوته في خوف من جريمتهم التي فعلوها ومن ناحية أخرى، فحينما هرب داود من شاول واثقًا بالله وليس بشاول وكلماته الجوفاء.

بمعونة الرب يجب أن نسعى للمصالحة سواء كنا مذنبين أو وقع علينا الذنب من الغير؛ بشريًا مع دفع التكلفة يجب أن نغفر.

إن العالم مُدمَّر بالنزاعات في كل الأذصبة ولكن الرب هو رئيس السلام والمصالحة. ليتنا نثق به، نفعل إرادته ونحيا له ولمجده ونتشبه به «الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ» (١ بط٢: ٢٣).

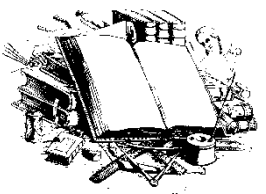

قلب نعمة أثناء عدم التوافق

من المفيد أن نقرأ الكتاب جديًا ونتعرف على مظاهر قلب الله من نحو شعبه حتى لو تباينت نظرتهم نحو الرب وانعكس ذلك بدوره من خلال حياة أولئك الذين يتبعونه في أيام المشاكل وعدم التوافق. ويا لها من بركة عظيمة تبدو من خلال إعلان نعمته ومحبته.

في سفر الخروج نقرأ عن موقف فرعون الذي قال: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ» (خر٥: ٢) ثم (خر٩: ١٤) قال الرب لفرعون «لأَنِّي هذِهِ الْمَرَّةَ أُرْسِلُ جَمِيعَ ضَرَبَاتِي إِلَى قَلْبِكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَ شَعْبِكَ، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي كُلِّ الأَرْضِ» إن بني إسرائيل هم شعب الرب كانوا شهودًا لقوته كانت محققة وفصلت الشعب عن مصر ليكون ملتصقًا به لنه أحبهم.

ثم بعد ذلك (ص٣٢) قبل أن ينزل موسى من جبل سيناء ومعه لوحي الحجر كان الشعب يسجد لآلهة صنعوها بأنفسهم. ولهذا كان الرب مستعدًا - في دينونة- ليمحوهم ويقيم بدلاً منهم؛ من نسل موسى (ع١٠). وبالنسبة لموسى فذلك مجد عظيم، ولكن هذا الخادم المتواضع توسل إلى الرب على أساس اختياره وعنايته بهم. (ع١١-١٣)

في السنين الباكرة، تعلم موسى أن الله وسط شعبه حقيقة مجيدة وأنه - تعالي - عمل فيه ويعلمه أهمية مساعدة شعبه يتقدم في جميع طرقه. ورأي قوته، كما تم

مع فرعون، ولكن خادمه الوديع علم مجده في خلاص شعبه من العبودية وتملك رغبته - تعالي - لجميع الجنس البشري.

عناية شعب الرب :

إن الكتاب المقدس مليء بموضوعات كثيرة منثورة في خلال صفحاته. فمثلاً، الله غيور ورغبته هو أن تكون هناك مودة مستمرة معنا. كما وأنه يريد أن يبارك، وفي يوم قادم الإنسان يسوع المسيح سيعود ليحكم على الأرض و من خلال الشعب القديم يبارك الأمم. وجدير بنا أن نذكر أن اهتمامه الرئيسي في الأرض اليوم هو الكنيسة؛ جميع الذين خلصوا وانضموا إلى جسد المسيح. وفيها يتبين قلب الرب في النعمة والمحبة في اهتمامه بشعبه.

وباعتبارنا ملكه - نحن الذين خلصنا بالإيمان فقط - هنا على الأرض لكي نعتني بوداعة كل واحد للآخر لكي نُظهر ما رأيناه فيه - له المجد - من قلب النعمة. وهنا نذكر ما قاله بولس «عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذلِكَ: التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ، الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ» (٢كو١١: ٢٨).

حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة :

يجب أن نظهر - فيما بيننا - النعمة والعناية حتى أثناء التباين للقطيع العزيز لدى الرب. ولاحظ عزيزي القارئ التعليمات لمثل تلك الحالات (مت١٨: ١٥-٢٠) «وإن أخطأ إليك أخوك....» و من جهة اختباري، فتلك

التعليمات نادرة - وحتي و لو - فبطريقة عملية يجب حل المشاكل بين المؤمنين. ويجب علينا النظرة الثاقبة على تصرفات الرب وليس عدلي فشلنا في ممارستها. وفي الأعداد فعناك ثلاث أمور يعملها الرب:

١. إذا كان أخان أو أختان ناقشا الإختلافات وافقنا عدلي بعض القبول فإن هذا يكون «مربوطًا في السماء» (ع١٨) مربوط في حضرة الرب. فيا له من أمر عظيم هل ربنا - له المجد - معتم بشعبه أم لا؟

الرب يسوع يفترض بأن تابعيه يفهمون سلطانه عليهم والقائد الروماني (مت٨:٨) نادى الرب «سيد» أنه تحت فكرة مجيء الرب إلى بيته. فهو ذو سلطان ونظرته إلى الرب كمن هو سلطان حقيقي فوق الكل.

٢. بينما نحن بصدد التأمل في موقف عدم التوافق، نرى أن شعب الرب حينما يطلبون شيئًا من الآب يقول الرب «فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات» (مت١٨: ١٩) إن صوت اتفاق اثنان من المؤمنين يذكرني برائحة المحرقة في الهيكل. فإن الاتفاق هو رائحة المسيح تملأ المكان فهو دائمًا يفعل إرادة الآب فهو يذهب إلى أقصى حدود الأمان لخاصته. ليت الروح القدس يعطينا قلبًا يتبع مثال المسيح الباهر.

٣. قال الرب «حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ باسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (ع٢٠) أحيانًا يتم اقتباس هذا العدد لكي يبدي أهمية الاجتماعات ويقودنا إلي التشجيع «لتثبت المحبة الأخوية» (عب١٣: ١).

يجب علينا أن نتأمل في معنى مت١٨: ٢٠، فيقودنا إلى التواضع. كان يجب على بولس أن يغفر «سبعين مرة» (ع٢٢) بمعنى عدد غير محدود. ونقرأ بعد ذلك عن ملك له عدد مدين بأكثر مما يستطيع أن يدفعه طيلة حياته. ألا يذكرنا ذلك

بمديونيتنا لخالقنا؟ لقد سامح الملك ذلك العبد بلا شروط. إنها نعمة غنية بلا شك! ولكن ذلك العبد عاقب زميلاً له يدينه بأجر ثلاثة أيام!! والرب يطالبني بأن أعترف أنني مرات كثيرة أعمل كعمل العبد الرديء!

إذا ركزنا فقط على التدريبات الموضحة (متى١٨: ١٥-١٧) قد تفوتنا البركات الحقيقية. إن رغبتنا هي أن بركة الآخرين في سيرهم مع المخلص هو غايتنا. إن شعب الرب هو مركز اهتمامه ومما يشجعنا أن يكون لنا نفس الاهتمام، ليت الرب يعيننا لنكون أكثر تشبهًا به. فحينما نتمثل به في الاهتمام بقطيعه فسنتغير، وهذا الاهتمام سيوجد السلام في علاقتنا بأخوتنا المؤمنين. ولنتذكر أن القديسين -المؤمنين الحقيقين - هم أولاد الله وهم مركز اهتمامه في هذا العالم.

قلب نظير موسى أو الرسول بولس

منذ سنوات كثيرة، علمني الرب درسًا أنتج اختلافًا كبيرًا في علاقاتي مع المؤمنين. ففي فترة وجيزة تعلمت أن يكون لي قلب الخادم تجاه القديسين من حولي من الموضوعات المتكررة في كل الكتاب.

في سفر الخروج (١: ١٥-١٧) «وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتَيِ الْعِبْرَانِيَّاتِ..... حِينَ مَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ.....إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلاَهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا وَلكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللهَ» وفي (ع٢٠) نقرأ «فَأَحْسَنَ اللهُ إِلَى الْقَابِلَتَيْنِ، وَنَمَا الشَّعْبُ وَكَثُرَ جِدًّا» وذلك بسبب إيمان تلك القابلتين «أَنَّهُ(الله) صَنَعَ لَهُمَا بُيُوتًا» (ع٢١).

حينما آخذ مكان الخادم الوديع لأخي المؤمن، حينئذٍ يحدث أمرًا سعيدًا: نحن نكتسب أفضل فهم وإدراك لذلك الشخص. ولتوضيح ذلك بأكثر تفصيل، إنه مثال حدث لي شخصيًا. فهناك اخ مؤمن كانت لي مشكلة معه. ومن أسفٍ طال ذلك لسنوات. فأوضح لي الرب بأنني في المرة القادمة حينما كنا معًا؛ كانت لي الرغبة أن

أساعده للتقدم الروحي في بعض الأمور فأعطاني الرب أن أرى منه نظرة فاحصة داخلية لم يكن لي بدونها أن أراها أطلاقًا. إنه مجرد إلهام من الرب.

ولماذا أعطي الرب الملك سليمان حكمة عظيمة؟ لقد اتخذ سليمان موقف الخادم المتضع لأجل صلاح شعب الرب. ففي (١مل٣: ٧-٩) نقرأ: «أَنْتَ مَلَّكْتَ عَبْدَكَ مَكَانَ دَاوُدَ أَبِي، وَأَنَا فَتًى صَغِيرٌ لاَ أَعْلَمُ الْخُرُوجَ وَالدُّخُولَ. وَعَبْدُكَ فِي وَسَطِ شَعْبِكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ، شَعْبٌ كَثِيرٌ لاَ يُحْصَى وَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. فَأَعْطِ عَبْدَكَ قَلْبًا فَهِيمًا لأَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لأَنَّهُ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ الْعَظِيمِ هذَا؟» وفي (ع١٠) نقرأ «فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لأَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ هذَا الأَمْرَ» فنحن لا نستطيع أن نكون جميعاً قادة الآن، نُرسل لنحكم شعب الله ولكننا نستطيع أن نكون خدامًا لقطيعه وحينئذٍ هو - له المجد - يعطينا حكمة الملوك.

سلام الله

إن السعي لأفصل إرادتي أو أتحكم في الآخرين هذا كله بسبب خطأٍ فمثلا الرئيس في العمل يضع الضغط لمن هم قياداته بإصراره أن يتصرفوا طبقًا لقواعد محددة. والآباء يمارسون ضغوطًا حينما يحذرون أولادهم من معاشرة الذين يؤذونهم.

وبعض الضغوط تبدو هامة في الحياة. فمثلاً الرب - له المجد - أشار في كلمته بوجود كمية غير ضرورية وأليمة من الضغوط بين شعبه. من السهولة أن تقع في فخ نزاع بأن نجعل الآخرين يعملون ما نريده. وهناك أشخاص يجدون أنفسهم ممتلئين بالضغوط لأن الآخرين يسلكون طريقًا يشبه الآخرين في تصرفاتهم. فعلينا أن نسعي لبركتهم والرب يعطينا سلامًا في حياتنا. وفيما يلي ما يعيننا لتحقيق ذلك.

ففي كو٣: ١٥ نقرأ «وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ» وشعب الرب يحتاج إلى السلام في حياتهم الذي هو أساسًا مرتبط بالنعمة.

دعنا - عزيزي القارئ - نفكر ولو لدقيقة؛ عما قاله الرب قبل هذه الأعداد في ع١٢ يدعونا الرسول «مختاري الله» وعلينا «فَالْبَسُوا .....أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ». وفي ع١٣ يضع أمامنا - الرسول - العناية بقطيع الرب «مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا» فهذه الخطوات العملية تزيل أي نزاع وتهيئ سلامًا.

إن النعمة قد أزالت كل ثورة وروح التمرد وكل مقاومة وتحرك قلوب غير المؤمنين.

واليوم؛ يوم النعمة قد دعينا إليها ومع لم الكتاب المقدس يوحنا داربي قد كتب تأملاته عن تي٣ "إن النعمة قد أزالت كل ثورة وروح التمرد وكل مقاومة وتحرك قلوب غير المؤمنين. وهذه كلها مصدرها الإرادة الذاتية التي تجاهد لصيانه حقوقها بالنسبة للآخرين"

ليس سواه!

بينما يختلف الكثيرون بين المسيحين على كثير من الأمور! إلا أن هناك أمر لا خلاف عليه مطلقًا داخل الإيمان المسيحي، ألا وهو أن المسيح له المجد «لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نخْلُصَ» (أع٤: ١٢) إن الخلاص هنا سواء بمفهومة الشامل؛ أو مفهومة الأبدي والخلاص من أجرة الخطية وعاقبتها والخطايا وعقوبتها هي حصريًا في المسيح وحده ولا سواه.

ولا عجب فهو الله الظاهر في الجسد؛ «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١تي٢: ٥).

القارئ العزيز: هل تعرفت قلبيًا على هذا الشخص الفريد؟ وهل تمتعت بفدائه الكامل وخلاصه الأبدي العجيب؟ إنه يدعوك وينتظر رجوعك إليه الآن بالتوبة وبالإيمان فلا تؤخر.

□

حياة بولس

الفصل الثاني

لما كنت طفلاً (في ٣: ١-١١)

ليس بعيداً عن أقصى الخلجان شرقاً في البحر الأبيض المتوسط وفي وسط سهل خصب غنى، تقع مدينه طرسوس التي يقول عنها واحد من أعظم بنيها إنها "مدينه غير دينيه". أما في العصر الذي نكتب عنه، فكانت مركزًا تجاريًا عظيمًا، وملتقى للحضارتين العالمية والدينية، على حافة السهل في الجهة الشمالية، قامت جبال طرسوس العظيمة بقمتها المكسوة بالثلج الدائم الذي يغذي نهر سيدنوس بمياهه بصفة مستمرة، وبعد أن تتكسر مياه هذا النهر في شلال عظيم، يجتاز وسط المدينة، ثم تتدفق مياهه في البحر. كانت أكبر السفن تجري في الجزء الأخير من هذا النهر، حاملة كنوز الشرق والغرب إلى الأرصفة على جانبيه، هنا كانت تُكوّم البضائع والسلع من كل نوع، إذ كان يؤتى بها لاستبدالها بأقمشة شعر المعزى التي اشتهرت بها المدينة، والتي كانت تصنع من شعر قطعان المعزى التي ترى على منحدرات جبل طرسوس، والتي يرعاها سكان الجبل، كانت طرسوس أيضًا تستقبل البضائع التي تتدفق من أبواب سيليسيا، وهي ممر مشهور يخترق الجبال، ليوصل من الشاطئ إلى أواسط آسيا الصغرى، ثم إلى فريجية وليكاؤنية من جهة، وكبدوكية من الجهة الأخرى.

في حي يهودي في هذه المدينة الناجحة في أوائل ذلك العصر (لعله عام ٤م)، إذ كان يسوع لا يزال طفلاً على ذراعي أمه في الناصرة، وُلد طفل، كان معينًا أن يكون عظيمًا في كل الأجيال التالية لحياته وكلماته، وأن يبعث في نفوس البشر نورًا جديدًا بصدد اعتقاداتهم الدينية. ولعله، عند ختانه، قد اكتسب اسمًا مزدوجًا: اسم شاول، وهو اسم العائلة، واسم بولس لعالم التجارة والحياة المدنية.

ترك طابع المدينة العظمى أثرًا لا يُمحى في نفس الصبي وهو في طور النمو، وفي هذه الناحية كانت أيامه الأولى تختلف كل الإختلاف عن أيام سيده الأولى، فيسوع تربى في قرية بسيطة، مرتفعة، متجنبًا المدن، وكان يحلو له أن يعلم على سفح الجبل، ويستمد تشبيهاته من حقل الطبيعة، أما بولس فإنه تربى وسط شوارع طرسوس المكتظة، وأسواقها المزدحمة والتي تعج بالتجار والطلبة والبحارة من كل انحاء العالم. وكان وهو في طور النمو، يستمد - دون أن يشعر - لكي يفهم الحياة البشرية في كل أوضاعها، ويألف أفكار وعادات البيوت التجارية، ومخيمات الجنود، وساحات الألعاب الرياضية، والهيكل. صار إنسانًا لم يغب عنه أي شيء يمس الحياة البشرية، أحب حياة المدن، واستمد استعاراته من مهامها.

نشأ من أصل عبراني قح: «عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ» كانت أنسابه أصيلة من كلتا الناحيتين، لم يكن هنالك أصل أممي في دمائه، ولا نسب غريب في تحدره، ولا بد أن أباه كان ذا مركز ممتاز، وإلا لما وصل إلى الرعوية الرومانية التي كان يطمع فيها الكثيرون. ومع أنه كان يعيش بعيدًا عن فلسطين، فإنه لم يكن يهوديًا يونانيًا، بل كان عبرانيًا أصيلاً كأي واحد من سكان المدينة المقدسة نفسها، ولعله (أباه) كان متعودًا القسوة على بنيه، وإلا لما خطر على بال ابنه أن يحذر الآباء - في السنوات التالية- من إغاظة أبنائهم لئلا يفشلوا، ومع أننا لا نعرف شيئًا بالضبط عن أمه، إلا

أنها لا شك كانت متصفة بتلك الصفات المتازة التي نتلمس آثارها في أمهات صموئيل ويوحنا المعمدان والرب يسوع، ولعلها ماتت في أيام طفولته الأولى، وإلا لما فكر ابنها فيما بعد أن يدعو أم روفس أمه (رو١٦: ١٣).

والأرجح أن لغة التخاطب العادية في ذلك البيت كانت اللغة العبرانية، وهذا يفسر -إلى حد ما - دراية الرسول بالأسفار العبرانية التي طالما اقتبس منها الكثير، بهذه اللغة العبرانية تكلم بسوع معه في الطريق إلى دمشق (أع٢٦: ١٤)، بهذه اللغة العبرانية تحدث هو إلى الجماهير من على دَرَج القصور (أع٢١: ٤٠)، كانت أورشليم في نظره أعظم من أثينا أو روما، وكان ابراهيم وداود وإشعياء أحب إليه من أبطال الإلياذة، كان يحسبه شرفًا عظيمًا أن يكون أجداده أولئك البطاركة والأنبياء القديسون الذين اتبعوا الله من أور، وصارعوا مع الملاك في يبوق، وتكلموا مع الله في حوريب وجهًا لوجه، كان قلبه يسرع النبض كلما تذكر أنه ينتمي إلى الجنس المختار، بكر الله، الذين كان لهم التيني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد، وكلما ذُكِرت أمامه الأنساب الرفيعة والثروة العظيمة، تذكر أنه وُلِد من نسب أرفع، وأنه ينسب إلى أرستقراطية أسمى؛ من سبطه خرج أول ملك لإسرائيل ، وكان يفخر بأنه سَميّه.

وكانت ثقافته الأولى دينية كان فريسيًا ابن فريسي، في أيامنا الحاضرة، تعبر كلمة فريسي عن الغطرسة الدينية والرياء المجسم، ولكن يجب ألا ننسى أبدًا أن الفريسي، في تلك الأيام القديمة في عصر الناموس، كان يمثل أرقى التقاليد للشعب اليهودي؛ فالفريسيون كانوا يعيشون حياة دينية مدققة وسط تلك الأيام التي سادت فيها روح الفتور وعدم الإكتراث. وبعكس الصدوقيين المتشككين الذين لم يؤمنوا بالأرواح أو بالعالم غير المنظور، كان الفريسيون يعتقدون بقيامة الأموات وحياة الدهر الآتي، وفي وسط الأخلاق الفاسدة، التي سرت عدواها إلى أورشليم بدرجة تكاد

تماثل درجة فساد روما، كان الفريسي مدققًا في مُثلِه العليا، نقيًا في حياته. كانت الآيات الكتابية التي كان قد لجأ إليها تدل على الأقل على إلمامه بالكتاب المقدس، وكان تعشيره للنعناع والكمون والشبث يظهر على الأقل تدقيقه في إطاعة الناموس، أما صلواته، فربما كانت لمجرد حب الظهور، على أذها كانت برهانًا واضحًا على اعتقاده في غير المنظور.

هكذا كان والد هذا الرسول العتيد. كان بيته الأول يحتفل بهذه المعتقدات الدينية الصارمة التي تشبعت بها نفس الولد، فعاش فريسيًا حسب مذهب عبادته الأضيق (٢٦: ٥)، وكان يفخر بأنه في اول لحظة مناسبة، قبل شعائر وامتيازات دياذته، إذ خُتن في اليوم الثامن، وحيثما كان يسمع عن الذين ينضمون إلى عهد آبائه وهم كبار، كان يهنئ نفسه بأنه قُبل في عهد الشركة مع الله منذ طفولته.

وكان بلا لوم في حياته الخارجية: كان بلا لوم من جهة البر الذي بالناموس فيما يتعلق بالممارسات الخارجية، لم تكن هنالك وصية تعَمد إغفالها في الناموس الأدبي أو الطقسي. ومع أن معلمي اليهود بنوا على ناموس موسى عددًا لا يُحصى من التفاسير الثانوية والوصايا الدقيقة، فإنه، بكل شجاعة، تغلب عليها. كان يعتبرها جريمة أن يدخل بيت أممي. ولدى مغادرة السوق أو السير في الطريق كان يحرص على غسل يديه من أي دنس اتصل بهما بسبب لمس أي شيء يكون قد لمسه غير المختونين.

ولطالما شكر الله لأنه لم يكن كباقي الناس، وقد تعلم أن يصوم مرتين في الأسبوع. ويعشر كل ما يقتنيه، كان يحفظ السبت والمواسم بكل حرص وتدقيق. قال مرة في احدي المناسبات «إِنِّي بِكُلِّ ضَمِيرٍ صَالِحٍ قَدْ عِشْتُ للهِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ» (أع٢٣: ١).

كانت نفس ذلك الشاب الفريسي الغيور تميل إلى الوقوف في صفوف القديسين الأولى، ففي فجر حياته، وضع في قلبه أن يربح جعالة رضاء الله، لم يكن يتصور شيئًا

أحب من هذا، لذلك، فإنه حينما سأل معلمي اليهود، وعلم منهم أن الطاعة المطلقة لكلمات الربيين هي الطريق الوحيد للحصول على أمنية قلبه، عزم بكل ما في وسعه على تسلق هذه المرتفعات الخطرة والجبال الشديدة الانحدار. ولعله فشل منذ البداية. ولعل هذه الصرخة «وَيْحِي أنا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ» كانت تدوي في أعماق قلبه قبل أن يصير مسيحيًا بوقت طويل، ومع أن سلوكه الخارجي كان مثاليًا، إلا أن نفسه كانت معذبة في صراع أدبي، كثيرًا ما كان يرى الخير فيستحسنه، ولكنه كان يفعل الشر، وكثيرًا ما كان يحزن ويكتئب بسبب عواطفه وضعف إرادته، كان شاعرًا بتقصيراته التي لم ترها عين أخرى، تائقًا للقوة التي تعينه على أن يعيش يومًا واحدًا في قداسة كاملة، إذ كان الربيون ينادون بأنه إن عاشها إسرائيلي واحد، فقد مهد لسرعة مجيء المسيا.

ولابد أن طبيعته كانت نارية ملتهبة منذ البداية: فالدموع التي انسابت في ميليتس، والقلب الذي كاد يتحطم في رحلته الأخيرة إلى أورشليم، والتوسلات والإشارات التي تفيض رقة وعذوبة في رسائله، وقدرته على خلق صداقات ملتهبة مستمرة - هذه لم تكن وليدة أيامه المتقدمة، بل كانت كامنة، أو على الأقل كانت نواتها كامنة - منذ الطفولة؛ فإنه لابد كان دائمًا حساسًا جدًا للعواطف الراقية، والفارق العظيم بين تذكره أصدقائه بعد وفاتهم، وبين صمته التام نحو والديه وإخوته وأخواته، يدل على المرارة التي أحس بها، إذ هجرهم نهائيًا بعد اعتناقه المسيحية، ولابد أن هذه الكلمة التي قالها «الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ»، تحمل في طياتها أثرًا أعمق مما يبدو في ظاهرها.

أما الغيرة التي دفعته لاضطهاد الكنيسة فيما بعد، فكانت قد بدأت تتحرك في صدره وقتئذ، قال مرة «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ، وَلكِنْ رَبَيْتُ فِي هذِهِ

الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ. وَكُنْتُ غَيُورًا للهِ» (أع٢٢: ٣).

كان صادقًا حينما أخبرنا بأنه تقدم في الديانة اليهودية على الكثيرين من أترابه وبني جنسه، لأنه كان أوفر غيرة في تقليدات آبائه إنه لم يتمسك بالحق سطحيًا، أو في بلادة وعدم إحساس أو كضرورة لازمة لتربيته الأولى، بل لأنه تعمق فيها كل العمق.

ولعله كان يردد في نفسه تلك الكلمات القديمة «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي». وهل كان يخطر بباله أي أمل بأن تكفّر غيرته عن تلك النقائض التي كان يحس بها متألمًا، وتزكّيه أمام الله؟ لقد عرف بالاختبار الشخصي ماذا يعني أن تكون له - كباقي إخوته وأنسبائه في الجسد - غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة.

وكطفل، حفظ (تث٦: ٤- ٩؛ مز١١٩: ١١٣- ١١٨). ولابد أن أيام الطفولة قد تقضت على الوجه الآتي: في سن الخامسة بدأ يقرأ الكتاب المقدس، وفي السادسة أُرسِل إلى مدرسة أقرب معلم، وفي العاشرة تعلم الناموس الشفوي، وفي الثالثة عشر صار ابنًا للناموس بموجب طقس معيّن، ويبدو أنه لم يتعلم الفلسفة اليونانية التي اشتهرت بها طرسوس، فقد كان هذا يعد مستحيلاً بسبب وجهة النظر الجامدة التي لا تلين، والتي تطلع بها اليهود الذين في الشتات نحو الجالية الأممية التي تحيط بهم. وبين سن الثالثة عشر والسادسة عشر أُرسِل إلى أورشليم لاستئناف دراسته لوظيفة ربي التي كان يطمع له فيها أبوه، ومما هوّن على الصبي أن يفعل هذا، أنه كانت له أخت متزوجة في أورشليم، وكان ممكنًا أن يقيم معها أثناء دراسته على يدي المعلم العظيم غمالائيل... استمع إليه وهو يقول فيما بعد «رَبَيْتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ» (أع٢٢: ٣).

ويجب ألا نغفل بأن نذكر أنه في أيام الصبوة هذه، تعلم حرفة أفادته كثيرًا عندما كانت تضغط عليه سبل المعيشة. كان المثل اليهودي القديم يقول " من لم يعلم ابنه حرفة، علمه أن يكون لصًا".

كان كل يهودي يتعلم حرفة، وكانت هذه عادة حرفة أبيه، والأرجح أن أسرة بولس كانت لأجيال طويلة تعمل في نسيج قماش داكن من شعر المعزى. ولابد أنه كان منذ الطفولة، قد ألِفَ أصوات الأنوال التي كان يُنسَج فيها شعر المعزى لإخراج قماش قوي يصلح للابس الصناع الخارجية او للخيام، و كان يطلق عليه اسم القماش "الكيليكي" نسبة للمقاطعة التي كانت فيها طرسوس، كانت هذه الحرفة قليلة الأجر؛ أما لبولس فقد كانت مناسبة جدًا لمقتضيات شخص متجول، فالحرف الأخرى تتطلب مصنعًا مستقرًا، والآت باهظة التكاليف، أما هذه، فكانت صناعة بسيطة، يمكن تأديتها في أي مكان، ولا تحتاج إلا لأبسط العدد والآلات.

بعد فترة من الزمن، متقرب من الخمسين عامًا، أمكن لبولس أت يتأمل - و هو سجين في أحد السجون الرومانية - في هذه الأمور التي كان فيما مضى يحسبها ربحًا، اقتربت مرة أخرى تلك المناظر البعيدة، مناظر حياته الأولى، إلى عينه الفاحصة، فتفرس فيها، وإذ تأمل في أرباحها الوفيرة، كتب تحتها: خسارة ونفاية «لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي» (في٣: ٧، ٨).

لم يكن أمرًا قليل الشأن أن ينحدر من أبوين شريفين تقيين، أن يكون ابنًا لإبراهيم، وارثًا للمواعيد التي أُعطيت لنسله؛ ولكنه حسبها خسارة!

لم يكن أمرًا قليل الشأن أن يبني لنفسه صيتًا عظيمًا، وإسمًا لا تشوبه شائبة بالطاعة الكاملة المستمرة للناموس، والتدقيق الشديد، ولكنه حسب ذلك خسارة!

كان هنالك شيء من الاتزان في نغمته؛ قد يكون الشباب مندفعين ومتعجلين، أما من تكلم هكذا فليس شابًا، بل رجلاً حنكته الأيام وزادته حكمة، وامتلأ قلبه باختبارات أشخاص كثيرين تجمعوا في شخصية واحدة، لقد صرف سنوات طويلة في السجن، حيث كان هنالك متسع من الوقت للتأمل في الذكريات السابقة وفرصة مناسبة للموازنة بين الماضي والحاضر. ولكن، رغم كل هذا ورغم أن المرء يميل عدة إلى التصغير من شأن صعوبات الماضي، والتهويل في صعوبات الحاضر، فقد قال مرتين، عن الامتيازات التي كانت موضوع فخره في أيامه الأولى، بأنها خسارة ونفاية.

لم يكن هنالك شيء من التحقير في إشاراته لطقوس العبادة الموقرة التي رُبي عليها، لقد ظل سنوات طويلة يرى في اليهودية التعبير الوحيد للاهوت، والشبع الوحيد لغرائزه الدينية. أما الأمور التي كان يتكل عليها فيما مضى، وأصبح يراها فيما بعد غير كافية، فكانت على الأقل هي التي رآها أساسًا للسمو والنمو. لم يكن ينسى أن الله نفسه هو باني البيت الذي وجدت فيه نفسه ملجأ ومسكنًا، وأن صوته تكلم في الأنبياء... وأن أفكاره هي التي ألهمتهم، وأن مقاصده قد تمت، لا يمكن لإنسان عاقل أن يتكلم باحتقار عن كتابه الأول الذي بدأ يتعلم فيه، أو عن معلميه الأوائل ولعل هذه هي الأساس الذي بنى عليه كل ما تعلمه فيما بعد، ولكن، رغم كل ما تحمله نفس الرسول من احترام وتوقير، فلم يسعه إلا أن يؤكد بأن ما كان له ربحًا قد حسبه خسارة.

وأساس هذه النتيجة التي وصل إليها، يوجد في ناحيتين، فمن الناحية الأولى، اكتشف بأن الذبائح اليهودية تعيد الخطايا إلى الذاكرة، كما هو واضح من تكرارها المستمر، ولكنها لا تستطيع أن تلاشيها، اكتشف بأن الطقوس الخارجية - مهما مورست بكل حرص - لم تفلح في تطهير الضمير، اكتشف بأنه لا توجد في

اليهودية قوة للخلاص، لا شيء لتنشيط وتجديد قوى النفس الخائرة. و من الناحية الأخرى، وجد شيئًا أفضل.

ترك الشاب الفنان وطنه القروي يملأ جوانبه الكبرياء والخيلاء بسبب ما حصله، فإن أقرانه البسطاء لم ينعموا بمثل هذا؛ لقد دعوه فلتة من فلتات الطبيعة، أما هو، فقد قبل هذه التسمية بكل سرور، في اقتناعه الداخلي، كان يرى نفسه أهلاً للنزول إلى العالم ليحرز قصب السبق فيه، وهكذا، خرج كأنه خارج إلى باريس أو ميلان أو روما، ولكنه في كل شهر كان يزداد في تحقير نفسه والتقليل من شأن مواهبه. وللحال، صار تلميذًا للمعلم العظيم غمالائيل، وعندما عاد إلى وطنه، بعد انقضاء عدة سنوات، و فتح سجلاته المتضمنة دراساته القديمة، أغلقها للحال بسخط شديد، متعجبًا كيف تجاسر سابقًا بأن يدعوها فنا؛ فإن كان له ربحًا وقتذاك، فهو الآن خسارة في ضوء ما قد رآه وتعلمه.

هكذا رأى بولس يسوع، أمام مجد تلك الرؤيا السماوية، تضاءلت كل الأشياء الجذابة الأخرى، لقد حسب كل الأشياء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربه، كانت كل جهوده الشخصية لا شيء بالمرة بالنسبة لعلمه الذي أتمه. كانت نجدة له أن يتحول، من بره الذي بالناموس، إلى طريقة الله للبر الذي بالإيمان بالمسيح، عندما كان يظن أنه يمكنه إتمام مطالب قداسة الله الكاملة بمجهوده الشخصي، كان يغشاه خوف من أن يفشل فشلاً ذريعًا، ولكنه، للحال، تعلم أنه يقدر أن يربح المسيح بترك كل شيء، وانه، يترك جهده والاتكال على المسيح، يقدر أن يوجد فيه، ويحصل على البر الذي بلا لوم. الذي تم بطاعته حتى الموت، وأنه باعترافه بالعجز عن أن يفعل الخير الذي يريده، وارتضائه الموت مع المسيح، يقدر أن يعرف قوة قيامته ويتشبه بها يومًا فيومًا، لذلك فإنه، بكل شكر، ترك جهوده الشخصية، وحسب كل

ما كان له في المسيح ربحًا أنه نفاية وخسارة، لكي يربح المسيح، و كل ما يمكن أن يهبه المسيح ويفعله.

ياله من اختبار مروع، حينما يستيقظ المرء فيجد أنه كان سالكًا مسلكًا خاطئًا في أهم الأمور، وأنه كاد أن يفقد أعمق معاني الحياة، حينما يكتشف أن القواعد التي وضعها لنفسه، والبناء الأخلاقي الذي تعب في بنائه، ليست إلا خشبًا وقشًا وعشبًا، حينما يتبين له أنه إنما كان يبني على أساس خائب، وأن كل حجر وضعه يجب أن يُزال، يا للهّ!! حينما يحصل هذا الاكتشاف في أوائل الشباب، فإنه يشل الجسم كله، ولو إلى لحظة، ونسقط على الأرض ونقضي ثلاثة أيام وثلاث ليال منذهلين لا نبصر، وإن حصل في أواخر الحياة، نجده مليئًا بالحسرة والندم، وإن تم في العالم الآخر، نجده مكتنفًا بسواد وظلمة اليأس الذي لا يُنطق به؛ فالدود لا يموت والنار لا تطفأ.

هنالك محك واحد به نتبين إن كنا على خطأ أم صواب، هو موقفنا بإزاء الرب يسوع المسيح، إن كانت حياتنا الدينية تدور حول محور آخر سواه، حتى و لو كان ذلك المحور العقائد اللاهوتية أو النظم المسيحية، فإنه لا بد أن يسبب لنا الفشل. أما إذا كان هو الألف والياء، إن كان إيماننا - مهما ضعف - يتطلع إليه، إن كنا نصر على أن نعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، إن كنا نحسب كل الأشياء خسارة من أجل فضل معرفته، فإننا نجد أنفسنا في سلام و سط الغاز الحياة، والمطالب السامية التي يطلبها العرش الأبيض العظيم.

تأملات هادئة

ر.ك. كامل

«يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ»

(١بط١: ٧، ٨)

***

حينما ينال المؤمن الخلاص في المسيح ويمتلك السلام مع الله، فحينئذٍ يحصل على الفرح تواً. فالقلب الذي خضع له وآمن بذبيحة موته فله شهادة الروح القدس بأنه (أو) بأنها اصبح ابنًا لله (رو٦: ١٨، أف١: ١٣، ١٤، ١يو٥: ١٠-١٣) فحينئذ نمتلك فرحًا لا ينطق به ولا يستطيع العالم أن يعطيه: إنه فرح في الروح القدس وهو منشئه في قلب التائب وإيمان الخاطئ فهو منبع البر والسلام والفرح (رو١٤: ١٧).

أفهل صار كل ذلك نصيبك - عزيزي القارئ؟ وإذ لم يكن كذلك؛ فلماذا، فربما يكون مرجعه لأنك لست واثقًا كل الثقة بكل الإيمان بمواعيده الكريمة والصادقة. تذكر أن الفرح الذي لا ينطق به هو نتيجة الإيمان القلبي والحقيقي و ليس مجرد الإيمان العقلاني.

إن الكتاب المقدس يكلمنا عن أنواع أخرى من الفرح بخلاف المختص بالخلاص. فنحن نجني فرحًا من الشركة مع الآب وابنه (١يو١: ٣، ٤) فإذا سرنا مع الله ففرح الشركة يكون نصيبنا بفيض. وفي استجابة صلواتنا يملأنا الفرح كما قال الرب «أطلبوا، ليكون فرحكم كاملاً» (يو١٦: ٢٤)

وتذكر - عزيزي القارئ - أن ذلك الفرح المرتبط بالخلاص يميز حياتنا طبقًا لما هو مكتوب (في٤: ٤) «افرحوا في الرب كل حين» وإن كنا لا نستطيع أن نفرح في وسط الظروف، فإن تحولت انظارنا عن تلك الظروف فإننا حينئذٍ يمكننا أن نفرح في الرب دائمًا.

وحدانية الروح

بينما وحدة جسد المسيح، الكنيسة مضمونة شرعًا ومقامًا في شخص الرب يسوع (١ كو١٢: ١٣) إلا أن الروح القدس يحرضنا لأن نجتهد لحفظ وحدانية الروح برباط السلام (أف ٤: ٣). إن وحدانية الروح «الروح القدس» الذي يربط كل أولاد الله الحقيقيين في كل مكان فعليًا لا تحتاج منا كمؤمنين لأن نوجدها لأنها موجودة بالفعل بل أن نحفظ بها من وجهة عملية. وهذا يتضمن محبتنا لكل اخوتنا المؤمنين في كل مكان باعتبارهم قديسين وأفاضل وأعضاء في جسد المسيح الواحد.

على أن حفظنا لوحدانية الروح ومحبتنا لجميع القديسين لا تعني الوجود في دائرة الشركة معهم التي يجب أن تقدم على البر والحق والقداسة. ورباط السلام لا يعني أن يكون على حساب قول الكتاب «وَاتبَعِ الْبرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ» (٢ تي٢: ٢٢). ليت لنا هذا الاتزان بين الحق والمحبة!